



هل ستتوحد أرثوذكسية روسيا وإنجليكانية أمريكا ضد الإسلام؟

ويقول الكاتبان: «بعبارة بانون، فإن الخطأ الكبير لزيادة النسل هو أن الجيل الجديد رفض القيم التقليدية (اليهودية المسيحية)، التي آمن بها أبائهم، وهو ما يعده جريمة تاريخية؛ لأن هذه القيم، بحسب رايه، هي التي ساعدت الغرب الأوروبي والولايات المتحدة على هزيمة الفاشية الأوروبية، وبالتالي خلق (الراسمالية المنتورة)، التي جعلت الولايات قوة عظمى في مرحلة ما بعد الحرب العالمية».

ويعلق الكاتبان في مقالهما قائلين إن «الاهتمام الإعلامي الكبير به، والمقالات العديدة والخطابات التي القاها، تظهر رجلا يؤمن بقوة بأن العالم يقف على حافة الكارثة، وأنه دون القيم اليهودية المسيحية فلن تنتصر الثقافة الأمريكية، ولن تستطيع الراسمالية المنتورة العمل، ولا يمكن في هذه الحالة هزيمة (الفاشية الإسلامية)».

ويشير الكاتبان إلى أن «بانون يستحضر عند هذه النقطة (التقليدية الروسية)، التي يدعو إليها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ومن المهم فهم لماذا يقوم بهذا، ففي خطاب الفاتكان عام 2014 كان بانون واضحا بأن بوتين (نجاحه بشكل كبير للمحافظين الأمريكيين، وأن رسالته هي عن القيم التقليدية)، كما أظهر مقال نشر قبل فترة في (ذا اتلانتيك)، وبشكل مقنع إيمان بوتين بعد عودته للمنصب الرئاسي عام 2012، أن هناك (قطعا كبيرا من الغربيين بمقتضى الانتوية وحقوق المثليين)، ولهذا انتهر الفرصة وحول نفسه إلى (زعيم عالمي للمحافظين)، وقدم رؤيته التقليدية بدلا عن الغرب المفتوح الذي تجنيه دائما».

ويستدرك الكاتبان بأن «بانون أشار إلى أن بوتين ليس مهتما في الحقيقة بالمحافظة قدر اهتمامه بتغيير نظرة المفاهيم الغربية عن روسيا، ولهدف واحد ووحيد، (ففي نهاية الأمر، اعتقد (بانون) أن بوتين وحاشيته يمثلون طبقة لصوص، وهم سلطة إمبريالية ترغب بالقوسم)، وبناء عليه يرى بانون أنه يجب التعامل مع بوتين بنوع كبير من الشك، وأمن أن الجماعات المحافظة في الولايات المتحدة، مثل تلك الجماعات المعادية للمثليين (المجلس العالمي للأسر)، تتعرض للخداع من بوتين». ويلفت الكاتبان إلى أنه «بالإضافة إلى شك بانون المتعلق ببوتين، فإنه يفرق بين القيم (اليهودية المسيحية) التقليدية وتفكير الكسندر دوغرين، الذي يعتقد أنه وراء الحركة التقليدية الروسية، فعلى خلاف المفهوم الرئيسي للمحافظة الاجتماعية الأمريكية يتعامل دوغرين مع معاداة العولمة ومعاداة أمريكا على أنها تعبيرات إسلامية، تتفق بشكل كبير مع تمثيله بين علامة التقليدية التي يقدمها، وفي الحقيقة يرى دوغرين أن المحافظة الإنجليكانية الأمريكية ما هي إلا تشويه للمسيحية التاريخية وشيفرة للنزول ليرالية الراسمالية».

ويبين الكاتبان أنه «على خلاف النظرة السياسية لبانون، فإن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، دعا إلى تعاون طويل المدى بين الغرب وروسيا، أو ما أسماها «الشراكة الحضارية»؛ لمواجهة المشكلات الجيوسياسية، خاصة: تنظيم الدولة، وقال: (بأنه بموجب أن يقوم التضامن الإنساني العالمي على قواعد أخلاقية نابعة من القيم التقليدية، التي هي بالضرورة عامة بين أديان العالم كلها)، وأضاف: (أريد لفت انتباهكم للبيان المشترك بين بطريرك موسكو وعموم روسيا كيريل والبابا فرنسيس، حيث أكد فيه على دعم العائلة باعتبارها المركز الطبيعي لحياة الفرد والمجتمع)، بالإضافة إلى أن القيم التي تدعم فكرة روسيا في الشرق الأوسط هي بالنسبة للافروف أساس الحضارة المسيحية التي يمثلها كل من البابا والبطريرك».

ويؤيد الكاتبان إلى أنه «في الوقت ذاته قامت الكنيسة الأرثوذكسية التي تعد اللاعب الرئيسي في روسيا، بالتأثير في القوانين المؤيدة للعائلة، فقيم العائلة ليست مجرد مبادئ في روسيا، بل هي حجر الأساس لزيادة النسل بعد نهاية الاتحاد السوفيتي، حيث تراجعت نسبة الزيادة السكانية وتدفق المهاجرين، وشرعت الحكومة عددا من القوانين، وبدأت خططها لمواجهة التراجع السكاني، وتحديث في عام 2016 عن زيادة في الخصوبة بنسبة 1.8%، وهي نسبة أعلى من المسيحية في الدول الأوروبية كلها تقريبا، وفي الوقت الذي قدمت فيه الحكومة مشروعات لزيادة عدد السكان من خلال مصطلحات وطنية، فإن الكنيسة الأرثوذكسية وبقية

القي مستشار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للاستراتيجيات خطابا عام 2014، قال فيه: «لو لم نتحالف معا كشركاء مع الآخرين في الدول الأخرى، فإن النزاع الحالي سيكبر»، وكان يتحدث عما يراه نزاعا بين القيم «اليهودية المسيحية» و«الفاشية الإسلامية».

وكان بانون في هذا الخطاب، الذي وجهه لمؤتمر عقد في الفاتكان، على ما يبدو يدعو المسيحيين المحافظين- التقليديين من الألوان كلها للتعاون معا في تحالف لشن هجوم ضد الإسلام.

ويعلق كل من الباحث في مركز دراسات الأديان في جامعة كاليفورنيا دانيال ستينميتز جينكنز، وطالبة الدكتوراة في جامعة كولومبيا بريتانى فيفر نوبل، في مقال نشرته مجلة «ذا اتلانتيك»، جاء فيه أن «الحديث عن حرب الحضارات التي تلوح بالآفاق أثبت استمرارية، حيث شهدت السنوات الماضية تعاونا بين المجتمع المسيحي الأمريكي والمجتمع الأرثوذكسي الروسي، اللذين اجتمعا على ندب تراجع القيم التقليدية، ووحد من هذه الأمثلة هو اجتماع عقد بين رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسي وفرانكلين نجل الداعية المسيحي المتحمس بيلي غراهام، وتحضر أسقف الكنيسة الروسية على تراجع الغرب عن القيم المشتركة بين القيم المسيحية، التي تعد (حجر الأساس للحضارة)».

ويناقش الكاتبان قائلين إنه «حتى لو التقى قادة المسيحية للتعاون على حرب الإسلام، كما يرغب بانون، فإن هناك مشكلة داخلية في المسيحية تتعلق بمسألة الطرف الذي يمثل منها القيم التقليدية المسيحية، فاللاعبان الرئيسيان في هذه الحرب، المسيحيون الأمريكيون التقليديون، الذين يضمون المحافظين الكاثوليك، مثل بانون، بالإضافة إلى الإنجليكيين مثل غراهام من جهة والروس الأرثوذكس، والمتحدين لمواجهة الإسلام من جهة أخرى، لكن داخل هذا الموقف المتضامن خلافا مدفونا حول معنى المسيحية ذاتها».

الجماعات المحافظة تتعامل مع انخفاض معدلات الولادة على أنه تعرض لانتهيار العائلة النووية، وبالضرورة المجتمع. وهي مشكلة تعاني منها المجتمعات الغربية، وهي صورة عن تراجعها، وتبنت الدولة موقف الكنيسة الأرثوذكسية لتحدي التقدمية الغربية والرسالة يتردد صداها داخل الدوائر الأمريكية المحافظة، مثل فرانكلين غراهام».

ويقول الكاتبان: «هنا وجدت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والمتطرفون الروس حلفاء في الغرب، خاصة بين الإنجليكين: ففي المعركة الدولية من أجل العائلة التقليدية، وقع على عاتقهم الترويج للزواج التقليدي، وإنجاب الأطفال، والتبني كونه وسيلة من وسائل الدفاع عن (الحضارة)».

ويشير الكاتبان إلى «ما كتبه ماشا غاسين قبل فترة عن الكيفية التي وجد فيها المجلس العالمي للأشعة مستمعين متحمسين له في عالم ما بعد الاتحاد السوفييتي السابق (خاصة الجمهورية الروسية وجورجيا)، حيث تعاون المحافظون الأثرياء للدعوة والدفاع عن العائلة التقليدية والقيام بشكل تدريجي بإلغاء القوانين المؤيدة لحقوق المثليين، وقامت الباحثة كريستينا ستوكول برسم صورة عن الطريقة التي قامت بها الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بالانخراط في القضايا المتعلقة بالحرة الدينية، ولأحظت بأن كل أن اليهود التي قادت روسيا لا تشبه الأجناس التي تقوم المنظمات الدولية بالدفاع عنها وعن مجموعة من القيم المحددة، ومحاولة استصدار تشريعات داعمة لها، فالفرق هنا هو أننا نرى ظهور تحالفات مسيحية تقليدية وليس تحالفات دولية تقدمية».

ويفيد الكاتبان بأنه «إضافة إلى وجود خلافات في وجهات النظر في مناطق أخرى، فإن هناك ناخبين أمريكيين ريثوا في معركتهم المعتقد الأخلاقي بالحرة الاقتصادية، ورفضوا التعامل مع رعاية المثليين، أو دفع الضريبة لدعم سياسات تحديد النسل، وفي الماضي كان المحافظون يعارضون السياسات التقدمية ويطعنون في شرعيتها، إلا أنهم اليوم تحولوا لمعارضتها تحت راية الحرية الدينية».

ويورد الكاتبان أن «المحافظين الروس بقيادة الكنيسة الأرثوذكسية، يطورون الحاجة للأخلاقية المحافظة وقيم العائلة من خلال نوع آخر من الحرية، وهنا يؤكد القادة الأخلاقيون الروس بأن ما يدعون إليه هو الحرية بعينها، الحرية للمتمسك بالتقاليد لا الحرية الشمولية التي يؤمن بها الرأسماليون ودعاة التشاركية في الغرب، وبعبارات الأسقف هيلاريون القفيف، فإن الغرب (يقدم الحرية من مبدأ أخلاقي ومن المبادئ الإنسانية المشتركة، ومن مسؤولية أفعال كل شخص تجاه الآخر، وننظر لهذه الحرية بأنها مدمرة وعدوانية، فبدلاً من منظور شعور الناس تجاه بعضهم البعض، فهي تدعو إلى إبادة كل شيء)».

ويبين الكاتبان أن القفيف أطر المعركة هذه باعتبارها واحدة يجب محاربتها من خلال تحالف بين القوى المسيحية المحافظة، وهي معركة لم يعد فيها هذا الطرف يعتمد أو يتوقع من إخوانهم الليبراليين الوقوف على الجانب الصحيح من التاريخ، ولهذا فإن معركتهم -أي المحافظين- هي من أجل الحضارة الغربية، وعندما يتعلق الأمر بالقيم الاجتماعية، فإن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تقف إلى جانبهم».

ويشير الكاتبان: «هل يستطيع المحافظون الأمريكيون تبني الموقف ذاته؟ صحيح أن باتون يمثل العلامة الخاصة من الكاثوليكية المحافظة في البيت الأبيض، لكن هل يمكن للإنجليكية الأمريكية الاعتماد على دونالد ترامب ليمثل مصالحها، أم أنه يجب عليها البحث أبعد من مؤسسات الدولة لتأكيد التقليدية الأخلاقية».

ويعاود الكاتبان التساؤل حول طبيعة التحالف بين المسيحية الأرثوذكسية الروسية والقوى الأمريكية الإنجليكية، وفيما إن كان الطرفان سيتجاوزان خلافاتهما ونظرة كل منهما للآخر باعتباره زنديقا. وينتهي الكاتبان إلى أن «إمكانية ظهور مقاومة عالمية للقيم التي ظلت علامة على الغرب التقدمي تطرح أسئلة حول من سيقود أو سيتولى

المقاومة، وفي الوقت الذي توجد فيه علاقة بين ترامب وبايرون والآخر ودوغين، فإنه لا يوجد إطار اجتماعي وسياسي وأيديولوجي واضح يربط الأمريكيين الإنجليكين والكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، بل على العكس، فإن الفجوة بين المحافظين والمتطرفين من اليمين تتوسع بشكل متزايد، وهناك الكثير من المتحمسين الإنجليكين الشباب ممن لا يعدون الجماعات الهامشية المحافظة جزءاً من تيارهم، بالإضافة إلى أن المواضيع التي تقلقهم، مثل معاداة الإسلام والهجرة، لا تلقى اهتماماً داخل القطاعات المحافظة، بقدر ما تهتم هذه بقيم العائلة والمبادئ التوراتية، التي تعد المبادئ الإرشادية للتشريع».

ويخلص الكاتبان إلى القول: «لن يتغير الحال أو تزدحم الفجوة بين الطرفين، إلا من خلال ظهور قائد قوي وجذاب، ومن المثير للاهتمام أن هناك شخصاً يمكن أن يؤدي هذا الدور، وهو البابا فرانسيس، وهو يتحدث صريحاً ضد القوميات والمشاعر المعادية للإسلام، وبالنسبة للأفريقيين فهو يحمل رسالة قوية عن المسيحية التقليدية، لكن الأمريكيين الإنجليكين لا يرون في رجل يرتدي زياً مختلفاً ويسكن قاعدته في موسكو مثلاً لهم، وفي ظل الفجوة الواسعة، سيظل ترامب يواصل الزعم بأنه يمثل النزعة التقليدية الجديدة».